بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، حمد الله فاطر[١] ذوات العقول النورية، ومظهرة خفيات[٢] الأسرار الربوبية، المبدع بنوره المشرق محركات الأجرام العلوية، المخترع بعلمه الكامل مسكنات الأجرام السفلية، المحيي موات المواد بينابيع الصور النوعية، المنير لقوابل العلوم بمصابيح الفكر والروية، والصلاة على المصطفين الكاملين بالنفوس القدسية، خصوصًا على محمد المبعوث إلى الأسود والأحمر من البرية، وعلى آله التابعين للآيات والبينات الجلية.

فإن المولى[٣] العَلَّامة ملك المحققين أفضل المتأخرين وأكمل المباحثين شمس الملة والدين محمد بن مبارك شاه البخاري -برَّد الله مضجعه- يقول:

قد التمس مني بعض إخواني في الدين وشركائي في طلب اليقين الذين لهم خوض في اقتناص المعارف الإلهية، واقتباس أفضل ما يناله قوى البشرية، أن أكتب

---

(١) بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الحكيم الخبير العليم القدير، الذي تفرد بوجوب الوجود لذاته، وتخصص بأسمائه الحسنى وصفاته، والصلاة على محمد خير من نطق بالصواب، وأفضل من أوتي الحكمة وفصل الخطاب، وعلى آله الطيبين وأصحابه أجمعين.

إنما قال: (فاطر ذوات العقول)، ولم يقل: (فاطر العقول) لئلا يتوهم أن للعقول صفات زائدة على نفس العقول؛ كالواجب تعالى، وصفات الواجب عين الذات عند الحكماء والمعتزلة. سيد.

(٢) إشارة إلى الصفات التي يتحقق بها الإيجاد وإنما أخر وإن كانت الفطرة يتوقف عليها لأن الإظهار إنما يكون بالنسبة إلى الغير. سيد.

(٣) أصل عبارته هكذا: (فإن العبد محمد بن مبارك شاه البخاري يقول) وقد غيرها بعض من تلامذته إلى ما غير تعظيمًا وتكريمًا، وحفظًا للأدب، ولأمثال هذه التغيرات فائدة، كذا قال بعض الأفاضل.

فإن الفقير إلى الله تعالى محمد بن مباركشاه البخاري ختم الله تعالى له بالحسنى يقول اهـ نسخة.

لكتاب "حكمة العين " من مصنفات المولى العَلَّامة أفضل المتأخرين سلطان المناظرين قدوة المحققين نجم الملة والدين أبي بكر ابن عمر الكاتبي القزويني -طاب الله ثراه، وجعل الجنة مثواه- شرحًا يذلل من الألفاظ صعابها، ويكشف عن وجه المعاني التي فيه نقابها، مع اشتماله على الزيادات التي استفدتها من كتب القوم، واحتوائه على خُلاصة أفكار الأواخر، ولباب حكمة الأوائل، وتضمنه لما سنح بفكري الفاتر وذهني القاصر، فكنت أشاور نفسي مُقدِّمًا رِجلًا ومؤخرًا أخرى، قائلًا: ما قال الشافعي رضي الله عنه في شعره:

كيف الوصول إلى سعـــــاد ودونها قلل الجبال ودونهن حتـــــــوف
الرجل حافيـــــــــة ومالي مركب والكف صفر والطريق مخـــــوف

إلى أن تكرر ذلك الالتماس منهم، فأسعفتهم بموجب ملتمسهم، وشرعت في تحريره على سبيل اختصار غير مفض إلى إخلال، وتطويل غير منته إلى إملال، موردًا فيه الحواشي التي كتب المولى العَلامة أفضل المحققين سلطان العلماء في العالمين، قطب الحق والدين الشيرازي -برَّد الله مضجعه- على هذا الكتاب بأجمعها مشيرًا إليها بقولي: (في الحواشي القطبية) كذا لتميز كلامه -طاب ثراه- عن كلام غيره مبينًا لأكثر الأنظار التي أشار إليها في مواضع غير معدودة بقوله: (وفيه نظر) وأهمل بيانه مجتهدًا في حل ما يمكن من تلك الأنظار، والأنظار التي بينها حله، سائلًا من الله تعالى الهداية والعصمة، ملتمسًا ممن ملئ من جواهر الحكمة ودرر الإنصاف طبعه أن لا يتبادر في إنكار ما يقرع سمعه، بل عليه أن يمعن النظر، ويجانب الاعتساف، ثم يسلك مسلك الاستنكار، أو ينتهج منهج الاعتراف، فإن بالحق تظهر مراتب الرجال لا بتقادم الأزمنة والآجال، واعلم أن الطالب السالك إلى الله تعالى إذا لحظه بماله من صفات[1] الجلال،

(١) قوله (من صفات الجلال) قدم الجلال لكونه من الصفات السلبية وهي متقدمة؛ لأن السلب يفيد تنزيه الذات لا على معنى أنه إزالة النقصان عن الذات، وربما تقدم الصفات الوجودية على السلبية نظرًا إلى أن الوجود أشرف من العدم، وقيل: أراد بصفات الجلال الصفات السلبية، وبسمات الكمال الصفات الثبوتية، وقيل: المراد بالأول صفات الغضب؛ كالقهارية، وبالأخير صفات الرحمة؛ كالرازقية والغفارية. سيد.

وسمات الكمال، فلا يخلو إما أن يلحظه[1] كذلك من غير ملاحظة لاستكمال نفسه، أو يلحظه كذلك مع ذلك فإن كان الأول فلا يخلو إما أن لا يعتبر نسبته إلى مخلوقاته مبدعة ومكونة ومحدثة، أو يعتبر نسبته إليها، وكل واحد من الاعتبارين ينبعث منه شوق إلى استعظامه بالتسبيح والتحميد، فالمؤلف رحمه الله تعالى افتتح بعد ذكره:

obeikandl.com

(١) قوله: (إلى مخلوقات مبدعة اهـ.) المبدعات ما لا يكون مسبوقًا بالمدة ولا بالمادة؛ كالعقول. والمكنونات ما يكون مسبوقة بالمادة دون المدة؛ كالأفلاك. والمحدثات ما يكون مسبوقة بالمادة والمدة، وأما ما يكون مسبوقًا بالمدة دون المادة فليس بموجود. سيد.

[شرح مقدمة

العلامة نجم الدين القزويني]

(بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

سبحانك اللهم يا واجب الوجود، ويا مفيض الخير والجود، أفض علينا أنوار رحمتك، ويسر لنا الوصول إلى كمال معرفتك، وخصص نبيك محمدًا وآله بأفضل صلواتك وأعظم تحياتك، وهيئ لنا من الأمور ما هو لنا خير).

(بسم الله الرحمن الرحيم) تبركًا وتيمنًا بقوله: (سبحانك اللهم يا واجب الوجود)، نظرًا إلى الاعتبار الأول، وأردفه بقوله: (ويا مفيض الخير والجود) نظرًا إلى الاعتبار الثاني، وإن كان الثاني[1] فلا يخلو من أن يكون ذلك الاستكمال بحسب القوة النظرية في مراتبها أو بحسب القوة العملية فإن كان الأول فلا يخلو.

إما أن يكون النفس في تلك المراتب كاملة بالقوة وعلى هذا القسم يحمل قوله: (أفض علينا أنوار رحمتك) ولأن تلك القوة مختلفة بحسب الشدة والضعف فمبدأها كما يكون للطفل من قوة الكتابة ووسطها كما يكون للأمي المستعد للتعلم ومنتهاها كما يكون للقادر على الكتابة الذي لا يكتب وله أن يكتب متى شاء، والقوة المناسبة للمرتبة الأولى تسمى عقلًا هيولانيًا، وللثانية عقلًا بالملكة[2]، وللثالثة عقلًا بالفعل، قال أنوار بلفظ الجمع.

---

(١) قوله: (وإن كان الثاني) وهو أن يلحظه بما له من صفات الكمال مع ملاحظة الاستكمال لنفسه، فإن قلت: لا حاجة إلى طلب جميع تلك المراتب، فإن العمل الهيولاني حاصل لكل واحد، قلت: معنى قوله: (أفض) أدم إفضاتها. سيد قدس سره.

(٢) قوله: (عقلًا بالملكة) لأنها يحصل لها بسبب الأوليات ملكة الانتقال إلى النظريات.

وإما أن يكون كاملة بالفعل فيكون المعقولات حاضرةً بالفعل مشاهدة، وتسمى مرتبة النفس هذه عقلًا مستفادًا وهي عزيزة جدًّا[١]، وعلى هذا القسم يحمل قوله: (ويسر لنا الوصول إلى كمال معرفتك) فإن قيل: طلب تيسر الوصول إلى معرفة الشيء لا يناسب هذه المرتبة؛ لأن الطلب يكون للمفقود ولا فقد[٢] فيها؟

فنقول: لا نسلم أنه لا يناسبها؛ فإنه محمول على طلبها لا على حصولها كما في المراتب السابقة، وإن سلم[٣] فلا نسلم أنه لا فقد فيها إذ عند أرباب الذوق والرياضات من الحكماء بعد مرتبة العقل المستفاد مرتبتان:

أحديهما: مرتبة عين اليقين، وهي أن تصير النفس بحيث تشاهد المعقولات في المفارق المفيض إياها كما هي فيه.

وثانيتهما: مرتبة حق اليقين، وهي أن تصير النفس بحيث يتصل بالمفارق اتصالاً عقليًّا، وتلاقي ذاتها ذاته تلاقيًا روحانيًّا، فالمراد من الوصول إلى كمال المعرفة الوصول إلى إحدى هاتين المرتبتين، ولما كانت هذه المرتبة مرتبة الأنبياء والصديقين، عقَّب الكلام بذكر الصلاة على أفضلهم على ما قال: (وخصص نبيك محمدًا وآله بأفضل صلواتك) أي: رحماتك، فإن الصلاة من الله تعالى رحمة، ومن الملائكة استغفار[٤]، ومن البشر دعاء.

(وأعظم تحياتك) وإن كان الثاني وهو أن يكون الاستكمال بحسب القوة العملية فإنما يكون ذلك بتزكية الباطن بتخليه عن الملكات الردية وتحليته بالصافات المرضية،

---

(١) قوله: (عزيزة ... الخ) إذا كانت النسبة إلى معقول واحد، فباعتبار الدوام وإلا فباعتبار الكثرة، وكل واحد منهما عزيز، أما بالنسبة إلى أهل الرياضة فليست بعزيزة علم أن هذه المراتب يعتبر بالقياس إلى كل نظري فيختلف الحال إذ قد يكون النفس بالنسبة إلى بعض النظريات في مرتبة العقل الهيولاني، وفي بعضها في مرتبة العقل بالملكة، وفي بعضها في مرتبة العقل المستفاد، وفي بعضها في مرتبة العقل بالفعل. سيد.

(٢) قوله: (ولا فقد فيها) لأن السائل صاحب هذه المرتبة. سيد رحمة الله عليه.

(٣) قوله: (وإن سلم فلا تسلم) أي: وإن سلم أنه محمول على حصولهما فلا نسلم. سيد.

(٤) قوله: (من الملائكة استغفار) الظاهر أن هذا من كلام العوام، إذ الدعاء والاستغفار واحد، فالأولى أن يقال: الصلاة من الله تعالى مغفرة، ومن الملائكة والبشر دعاء. سيد.

وتهذيب الظاهر باستعمال الشرائع الحقة والنواميس الإلهية، وعلى ذلك يحمل قوله: (وهيئ لنا من الأمور ما هو لنا خير) وإنما أخره عن الصلاة على النبي؛ لكونه مستفادًا من الشريعة.

(فاعلموا إخواني أن جماعة من رفقائي -وفقكم الله وإياهم للاطلاع على حقائق الأمور- لما فرغوا من بحث الرسالة المسمَّاة بـ "العين في علم المنطق " التي ألفناها في سالف الزمان، التمسوا مني أن أضيف إليها رسالة في العلمين الآخرين -أعني الإلهي والطبعي- وكان خاطري، بل الخواطر كلها مشغولة مترددة غير فارغة، ولا مائلة إلى تأليف كتاب، وترتيب خطاب، بسبب اضطرابات ظهرت في الزمان، إلا أني لكثرة شفقتي عليهم أسعفتهم بملتمسهم وأظفرتهم بموجب مقترحهم[1]، وشرعت في تحرير رسالة مشتملة على[2] القواعد الكلية للعلمين المذكورين، مع إشارة إلى دقائق وتنبيهات على حقائق خلت عنها الكتب المصنفة في هذا الفن مرتبة على قسمين:

الأول: في الإلهي.

والثاني: في الطبعي.

مستعينًا بواهب الصور والحياة، متوكلًا على مفيض العدل والخيرات إنه خير موفق ومعين).

لما كان البحث في هذا المختصر مقصورًا على بيان بعض أجزاء الحكمة رأيت أن أقدم معنى الحكمة وأجزائها على سبيل الاختصار، فأقول وبالله التوفيق:

---

(١)الاقتراح هو التماس مرة بعد مرة أخرى، أي بطريق المبالغة. سيد رحمه الله.

(٢) وقد توصف القواعد بالكلية إذا كان الفروع المندرجة تحتها كلية أيضًا. سيد رحمه الله.

الحكمة(١)

[هي] استكمال النفس الإنسانية بتحصيل(٢) ما عليه الوجود في نفسه(٣)، وما عليه الواجب(٤) مما ينبغي أن يعمل من الأعمال، ومما لا ينبغي؛ لتصير كاملة مضاهية للعالم العقلي وتستعد بذلك للسعادة القصوى الأخروية بحسب الطاقة البشرية وهي تنقسم بالقسمة الأولى إلى قسمين؛ لأنها إن تعلقت بالأمور التي لنا أن نعلمها، وليس لنا أن نعملها سميت حكمة نظرية، وإن تعلقت بالأمور التي لنا أن نعلمها ونعملها سميت حكمة عملية(٥)، وكل من الحكمتين منحصر في أقسام ثلاثة: أما النظرية، فلأن ما لا يتعلق بأعمالنا، إما أن لا يكون مخالطة المادة شرطًا لوجوده(٦)، أو تكون، وحينئذٍ إما أن لا تكون تلك المخالطة شرطًا لتعقله أو تكون.

---

(١) قوله: (الحكمة استكمال النفس) قيل: الحكمة كمال النفس لا استكمال لها، ففي عبارته تساهل ويمكن أن يجاب عنه بأن مراده كمال حاصل بالطلب؛ لأن الكمال الحاصل للنفس لا بالطلب لا يسمى حكمة، فلهذا عبَّر بهذه العبارة. سيد رحمه الله.

(٢) قوله: (بتحصيل ما عليه الوجود .. الخ) الأولى: أن يحمل التحصيل على أعم من تحصيل كل ذلك، أو بعضه، وإلا لزم أن لا يتحقق الحكمة بدون العلم بجميع تلك الأشياء، بقي شيء وهو أن المفهوم من التعريف: أن الحكمة لا يطلق إلا إذا جمع شيئين من العلمي والعملي لا على واحد فقط من القسمين ويحتاج في دفعه إلى أن يقال جمع التعريفين في تلك العبارة أحدهما للحكم العلمية، والآخر للحكمة العلمية. سيد رحمه الله تعالى.

(٣) أي: بتحصيل ما لا يكون وجوده بفعلنا سيد هذا التعريف يدل على أن علم الحكمة علم لا نفس الحكمة. سيد رحمه الله.

(٤) قوله: (وما عليه الواجب) يعني تحصيل ما عليه الأمور الواجبة عليها في صيرورتها كاملة من الملكات الفاضلة والأخلاق المرضية الممكنة من الأعمال الحسنة، وحاصله إدراك صفات الكمال التي هي مواريث الأعمال، وهذا إشارة إلى الحكمة العملية. سيد رحمه الله.

(٥) قوله: (سميت حكمة عملية) فإن قلت: هل يكفي في الحكمة العملية العلم المتعلق بكيفية العمل، قلت: قد ظن ذلك كما يشعر به ظاهر هذا التعريف، والحق دخول العمل في الحكمة العملية فيكون مركبة من عمل وعلم، ولذلك قيل: الحكمة خروج الإنسان إلى كماله الممكن في جانبي العلم والعمل. سيد رحمة الله عليه.

(٦) قوله: (والأول وهو ما لا يكون مخالطة) المادة شرطًا وهو إما من الذوات كذات الحق سبحانه وتعالى، وإما من الصفات كالهوية والوحدة والكثرة والعلة والمعلول والكلية والجزئية، وما أشبه هذه المعاني، والثاني وهو أن يكون المخالطة شرطًا وذلك مثل التدوير والتقعير والتربيع والكروية

والأول: وهو ما لا يكون مخالطة المادة شرطًا لوجوده هو العلم الإلهي تسمية للشيء باسم أشرف أجزائه وهو العلم الأعلى.

والثاني: وهو أن يكون المخالطة شرطًا لوجوده[١] دون تعقله وهو العلم الرياضي وهو العلم الأوسط.

والثالث: وهو أن يكون المخالطة شرطًا لوجوده وتعقله هو الطبعي، وهو العلم الأسفل.

وأما العملية فلأن ما يتعلق بأعمالنا إن كان علمًا بالتدبير الذي يختص بالشخص الواحد فهو علم الأخلاق، وإلا فهو علم تدبير المنزل[٢] إن كان علمًا بما لا يتم إلا بالاجتماع المنزلي، وعلم السياسة إن كان علمًا بما لا يتم إلا بالاجتماع المدني، مبادئ[٣] هذه الثلاثة من جهة الشريعة الإلهية.

=

والمخروطية، ومثل العدد وخواصه فإنك تفهم الكروية من غير أن يحتاج في تفهمها إلى أنها من خشب أو ذهب أو حديد، ولا يُفهم الإنسان إلا وأن يحتاج إلى أن يعرف صورته في لحم وعظم، وكذلك تفهم التقعير من غير حاجة إلى فهم الشيء الذي فيه التعقير مع أن هذه الأمور لا يوجد إلا في الجرم. سيد رحمه الله.

(١) قوله: (شرطًا لوجوده دون تعقله) لقائل أن يقول: إن أراد أنه لا حاجة في تعقل الرياضيات إلى المادة أصلًا ففيه بحث؛ غايته أنه لا حاجة إلى تعقل مادة مخصوصة، فالكرة ما يمكن أن يتعقل من خشب أو حديد وإن أراد عدم الاحتياج إلى مادة مخصوصة فمسلم لكن يشكل بالمقدار والصورة الجسمية المبحوث عنهما في العلم الطبعي فإنهما لا يحتاجان في تعقلهما إلى مادة مخصوصة. سيد رحمه الله.

(٢) قوله: (علم تدبير المنزل) وعرَّفوا بعضهم تدبير المنزل: هو علم بمصالح جماعة مشاركة في المنزل كالوالد والمولود والمالك والمملوك، ويسمى تبدير المنزل ومالهما واحد كما لا يخفى مقصود عليخان.

(٣) قوله: (ومبادئ هذه الأمور الثلاثة ... الخ) يعني بعض هذه الأمور معلومة من صاحب الشرع لئلا ينافي هذا تقسيم الحكمة الدنية إلى ما يتعلق بالملك والسلطنة؛ إذ ليس العلم بها من الشرع عندهم على ما يدل كلامه هناك عليه. سيد رحمه الله.

وفائدة الحكمة الخلقية أن يعلم الفضائل وكيفية اقتنائها لتزكى بها النفس، وأن يعلم الرذائل وكيفية توقيها ليتطهر عنها النفس.

وفائدة المنزلية أن يعلم المشاركة التي ينبغي أن يكون بين أهل منزل واحد لينتظم بها المصلحة المنزلية التي تتم بين زوج وزوجة ووالد ومولود، ومالك ومملوك.

وفائدة المدنية أن يعلم كيفية المشاركة التي تقع بين أشخاص الناس ليتعاونوا على مصالح الأبدان ومصالح بقاء نوع الإنسان.

والمدنية قد قسمت إلى قسمين: ما يتعلق بالملك والسلطنة ويسمى علم السياسة، وإلى ما يتعلق بالنبوة والشريعة، ويسمى علم النواميس[١]، ولهذا جعل بعضهم أقسام الحكمة العملية أربعة، وليس ذلك بمناقض لمن جعلها ثلاثة لدخول قسمين منها تحت قسم واحد، ومنهم من جعل أقسام النظرية أيضًا أربعة بحسب انقسام المعلومات، فإن المعلوم إما أن يفتقر إلى مقارنة المادة الجسمية في الوجود العيني أو لا.

والأول: إن لم يتجرد عنها في الذهن فهو الطبعي، وإلا فهو الرياضي.

والثاني: إن لم يقارنها البتة كذات الحق والعقول والنفوس فهو الإلهي، وإلا فهو العلم الكلي والفلسفة الأولى كالعلم بالوحدة والكثرة والعلة والمعلول، وأمثالها مما يعرض للمجردات تارة، وللأجسام أخرى، ولكن بالعرض لا بالذات، إذ لو افتقر بالذات إلى المادة الجسمية لما انفكت عنها ولما وصفت المجردات بها ولا منافاة بين التقسيمين كما عرفت.

فهذه جملة أقسام الحكمة، ومن استكمل نفسه بها ﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩]، والمصنف إنما يبحث في هذا الكتاب عن قسمي الحكمة النظرية، أعني: الإلهي والطبعي، مع تقديم الإلهي على الطبعي على ما قال:

---

(١) ويسمى علم النواميس، الناموس: السُّنَّة والطريقة، والمثال القائم الثابت بنزول الوحي، والعرب أيضًا يسمى الملك النازل بالوحي: ناموسًا، وليس المراد من الناموس ما يظنه العوام من أنه الحيلة والخديعة. سيد رحمه الله.

(القسم الأول: في الإلهي، والثاني في الطبعي) وإنما قدمه لكون المبحوث عنه فيه أشرف وأقدم نفس الأمر ولم يبحث عن الرياضي إلا عن نبذ[١] من الهيئة لما قاله صاحب "المشارع والمطارحات": من أن أكثره يبتني على الأمور[٢] الموهومة والاعتبارات[٣] الذهنية، والمهم هو البحث عن أعيان[٤] الموجودات، قيل: ولهذا لم يبالغ الشيخ الرئيس في العلم الرياضي كما بالغ في الطبعي والإلهي.

---

(١) قوله: (إلا عن نبذ) النبذ بفتح النون وسكون الباء والذال المعجمة: الشيء اليسير القليل يقال: أصاب الأرض نبذ من المطر، أي: شيء يسير. سيد رحمه الله.

(٢) قوله: (يبتنى على الأمور اهـ) فيه بحث؛ لأنه إن أراد أن مسائله في نفسه من الأمور الموهومة كما حمل عليه المصنف فليس كذلك، بل الغرض من تلك الأمور الموهومة معرفة أحوال الموجودات كالمناطق المفروضة ليتعرف أوضاع الفلك وحركاتها كيف وهو من أقسام الحكمة الباحثة عن أحوال الموجودات وإن حمل على دلائلها مبتنية على الأمور الموهومة مع منع ظاهر العبارة، فذلك إنما يدل على وثاقتها لمساعدة العقل الوهم في مبادئها ولا يخفى أنه لا نسلم قوله: (والمهم البحث عن أعيان الموجودات) اللهم إلا أن يقال: موضوع بعض أقسام الرياضي أمور موهومة كبعض الأشكال المفروضة غير موجودة في الخارج، فالأولى أن يقال: أعرض عن الاستقصاء في الرياضي لكونه مورثًا لملكة التخيل المزاحمة لكمال المعتد به، أعني: المتعقل. سيد رحمه الله.

(٣) فإن قيل: كثيرًا ما يبحث في القسمين الأخيرين عن الأمور الاعتبارية أيضًا كالوجود والإمكان، قلت: تلك اعتبارات يتصف بها الشيء في نفس الأمر بخلاف الدوائر والمحاور التي يبحث عنها في الهيئة. سيد رحمه الله.

(٤) بقي هاهنا شيء وهو أن العلية والمعلولية الأمور العامة بجميع التفاسير ولم يذكرهما المصنف في المقالة الأولى التي وضعها للأمور العامة. مير زاجان.

قوله: أي الشاملة للمجرد والمادي ومقابلاتها كالوجود ومقابله كالعدم والإمكان ومقابله كالامتناع. سيد رحمه الله.